احتراز واجب

يقابل الدارس لموضوع اللاجئين إحصاءات وتقديرات لاتتفاوت من مرجع إلى آخر فحسب ، ولكنها تتفاوت بين مختلف أبواب المرجع نفسه ، وحتى فى الصفحة الواحدة تدرج تقديرات متباينة ، ولقد حرصنا على إيضاح كل مصدر على حدة لكل جدول من جداول الكتاب لكن ذلك لايغير من الصورة الواضحة والقواسم والسمات المشتركة للعرض .

هذا من ناحية الأرقام وتداولها من المراجع المطبوعة أو المصادر فى الشبكة المعلوماتية بتعدد مصادرها.

ومؤلف هذا الكتاب ترك العمل فى السلك الدبلوماسى بالتقاعد بعد نحوا من أربعين عاما قضاها فى خدمة وزارة الخارجية المصرية ، وغني عن أي بيان أن الآراء الواردة هنا ليس لها أي علاقة من قريب أو بعيد بوزارة خارجية مصر أو أي مؤسسة أو جهة حكومية أو غيرها داخل مصر أو خارجها . كما أن ما ورد بها من مصادر ومراجع لا تشمل أيا من أوراق الوزارة أو مكاتباتها أو إنتاجها لكنه جهد خاص بالكاتب .

وأسأل الله أن أكون بهذا الجهد قد أديت بعضاً من الواجب الذي ألقي على عاتقي تجاه اللاجئين الفلسطينيين من خلال معايشتي لهم وإطلاعي على مآسي حياتهم ومتابعة التطورات السياسية والتي لم تطالهم للآن والتي عززت إيماني بأنه لا حل للقضية الفلسطينية ما لم تحل مشكلة اللاجئين .

obeikan.com

مقدمة الكتاب

كثيراً ما سمعت عن مشكلة اللاجئين والنكبة وتشرد أهل فلسطين ولجوئهم إلى البلاد المجاورة عام ١٩٤٨ ولجوء بعضهم إلى مناطق تحت الإدارتين المصرية في غزة والأردنية في الضفة الغربية لنهر الأردن ، لكن الحقيقة القاسية والمؤلمة التي جابهتني أثناء عملي كأول سفير لمصر لدى السلطة الوطنية الفلسطينية كانت أكبر من أي تخيل وأي تصور وفوق ما كان متوقعاً فلم تكن قضية اللاجئين مثارة بأية صورة من الصور أثناء عملي في الفترة من عام ١٩٩٥ – ١٩٩٩ ، من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الإنسانية أو القانونية .

كانت قضيتهم قد وضعت ضمن قضايا الحل النهائى التى ستعالج بعد ٥ سنوات من بدء العمل بالاتفاق مع قضايا : القدس والمستوطنات والحدود تنفيذا لاتفاق أوسلو ١٩٩٣ وقابلها كثير من التشكيك والقلق من ملايين اللاجئين في الدول المضيفة ، (والسلطة الفلسطينية تعتبر نفسها إحدى الدول المضيفة) وأتاحت لي الظروف زيارة جميع معسكرات غزة الثمانية وبعض معسكرات الضفة وكذلك البعض منها في سوريا والأردن . لذلك كان التفكير في إصدار هذا العمل الذي تناول قضية اللاجئين من مختلف نواحيها منذ هجوم العصابات الصهيونية قبل قيام الدولة العبرية عام ١٩٤٨ حتى وقتنا الحاضر .

وأمام مشكلة اللاجئين لا نجد حجماً هائلاً في المراجع فقط ، لكننا نجد عدداً كبيراً من مراكز البحوث المتخصصة في القضية ولكل منها إنتاجها وإصداراتها

وحتى دورياتها. وجاء هذا العمل فى تقديرنا بالقدر اللازم من التفصيل لكنه لا يشكل عملاً موسوعياً عن اللاجئين أو النكبة أو تشريد شعب بالكامل . والآراء الواردة فيه منسوبة إلى أصحابها وإن كنا قد استعرضنا عدداً كبيراً منها لنبرز مختلف الآراء ووجهات النظر.

ولا تقاس النكبة التى شردت الشعب الفلسطينى من وطنه عام ١٩٤٨ بما حدثت من غزوات استعمارية استيطانية فى أماكن مختلفة من العالم وعبر فترات زمنية عديدة .فهى لا تقاس مثلاً باستيلاء المستوطنين البريطانيين على أجزاء من القارة الاسترالية عام ١٧٨٨ ولاعن نزاعهم مع سكان الأرض الأصليين من الشعب الأبورجينى . كما لا تقاس أيضا باستيلاء المستوطنين الهولنديين على أجزاء من جنوب القارة الإفريقية ومكونة شعب « البوير » الذى طرد الأفارقة وجعلهم يعيشون فى معازل وبانتوستانات بينما يتمتع الغزاة بكل خيرات الأرض . كما لا تقاس أيضا باستيلاء الأوربيين على الأرض فى أمريكا الشمالية واضطهاد شعبها من الهنود الحمر .كذلك فهى لا تضاهى استيلاء الفرنسيين على مقاطعة « كيبك» فى كندا وطرد أهلها من قبائل «الإسكيمو» ليعيشوا فى معازل ومناطق خاصة بهم .

كما أنها لا تقاس بما فعله الفرنسيين فى محاولاتهم الاستيطانية وإنشاء «فرنسا عبر البحار» فى الجزائر وما أعقبه ذلك من ثورات شعبية أدت إلى استشهاد مليون شهيد .كما أنها بعيدة كل البعد عما أحدثه الاستعمار الألماني الاستيطاني فى ناميبيا . كما أنها أيضا لا تقارن بما أحدثه الاستيطان الأوروبي النيوزيلاندى وحروب الماورى .

ذلك أن النكبة التى حاقت بالشعب الفلسطينى عام ١٩٤٨ تختلف عن كل تلك الأنواع من الهجمات الاستيطانية الشرسة فى عديد من العوامل والأبعاد نذكر منها

على سبيل المثال :

١- البعد الأول هو بعد إنسانى ناتج عن نزوح حوالى مليون فلسطينى عام ١٩٤٨ يمثلون حوالى ٨٠٪ من الشعب الفلسطينى والذين وصل عددهم الآن عام (٢٠٠٩) بعد قرابة ستون عاماً إلى نحو ستة ملايين نسمة ، يعيشون في ظروف أقل ما تقال عنها أنها في أفضلها بعيده عن الظروف الإنسانية للحياة البشرية فى أدنى صورها .

٢- كما يتميز الصراع العربي الإسرائيلي فى أن الشعب الذى أراد المحتل الصهيوني التخلص منه (الشعب الفلسطيني) له ثقافة وحضارة وتاريخ وأمجاد سياسية واقتصادية وهذه الخلفية الحضارية لا تتوافر لأي من الصراعات الاستيطانية السابقة .

٣- حدوث الصراع بين الصهاينة الغزاة والسكان الفلسطينيين فى منطقة انبعاث الأديان السماوية الثلاث (اليهودية – المسيحية – الإسلام) وأماكن تواجد مقدساتها وهو ما أضفى على هذا الصراع البعد الديني للديانات الثلاث .

٤- كذلك أضفى على الصراع العنصرية الدينية التى تمثلت فى أن الغزاة القادمين لاحتلال الأرض كانوا من ديانة واحدة هى «اليهودية» وأرادوا إكساب صبغة دينية لأرض مقدسة ليس لهم فيها سوى ادعاء ملكيتها بالتوراة ، وأصبح عنصر الدين هو الدافع النظري لتكوين دولة خالصة لليهود تكون ملاذا وملجأ لجميع يهود العالم .

٥- الوضع الجغرافي لمنطقة الصراع حيث شكل الوجود الإسرائيلي فى الموقع الذى شغلته إسرائيل بين آسيا وإفريقيا فاصلا ليس فقط بين عرب المشرق وعرب المغرب بل أيضا بين القارتين . ومن ثم فليس من المستغرب بعد ذلك استماتة

إسرائيل فى الحصول على «قرية أم الرشراش» بعد انتهاء القتال فى عام ١٩٤٨ وبعد إعلان الهدنة بحوالى ٦ شهور .

٦- أن بؤرة الصراع وهى أرض فلسطين التاريخية منطقة جغرافية محدودة المساحة إذ تبلغ مساحتها ٥٨٨٨ كم مربع .

٧- الوضع الاستراتيجي لمنطقة الصراع فى الشرق الأوسط المطلة على المنافذ البحرية والممرات المائية (جبل طارق - قناة السويس - باب المندب - مضيق هرمز) .

٨- الإمكانيات الاقتصادية التى تتواجد فى دائرة الصراع الكبرى بما تحمله من بترول وغاز وأسواق مستهلكة وفوائض بترولية قابلة للاستثمار ، كما أن المنطقة تعد ممراً لخطوط أنابيب البترول والغاز .

٩- الصراعات السابق الإشارة إليها تتمثل فى صراع وافدين جدد على جزء من الأرض وليس كل الأرض حيث أن الحركة الصهيونية هدفت - ولا تزال إلى الآن - إلى احتلال كل فلسطين باعتبارها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض أي أن الأمر هنا إحلال وتبديل وليس مشاركة الشعب الأساسي الأصيل فى الأرض والموارد ، بل إن أطماعها بالإضافة إلى فلسطين تمتد من النيل إلى الفرات .

١٠- كما يتميز هذا الصراع بالارتباطات الدولية بين القوى المتصارعة وبين القوى الكبرى والمؤثرة فى العالم حيث اعتمد الكيان الصهيوني الناشئ عام ١٩٤٨ على بريطانيا أولاً لإصدار وعد بلفور عام ١٩١٧ ولأنها كانت الوصية على فلسطين بمقتضى قرار عصبة الأمم المتحدة ثم بعد أن خبت سطوة بريطانيا وتهاوى الأسد العجوز لجأت إلى فرنسا لإمدادها بالمفاعل النووي (ديمونة) والأسلحة والقوارب المحاربة ثم استطاعت أن تؤثر مؤخراً على صانع السياسة فى الولايات

المتحدة الأمريكية .

١١- أن هـذا الصراع حظى فى مختلف مراحله عـلى اهتمامات دولية متباينة لأسباب سبق الإشارة إليها وكان فى بؤرة الاهتمام العالمى وعنصراً من أهم عناصر الحرب والسلام فى العالم ، وهذه العوامل مجتمعة جعلت موضوع اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأوسط موضوعاً بالغ الحساسية وبالغ الاستعصاء والصعوبة وربما يتبقى كآخر العناصر قابلية للحل فى المشكلة الفلسطينية . لكن من المؤكد لدى كاتب هذه السطور أن الشرق الأوسط لن يعرف سلاماً حتى تحل هذه المشكلة حلاً عادلاً طال الوقت أو قصر .

وقد أوردنا فى الباب الأول عن تاريخ فلسطين وعن الاستيطان الإسرائيلى .وقد تناولنا التسلسل التاريخي لخروج الشعب الفلسطيني من دياره عام ١٩٤٨ .

وتناولنا فى الباب الثانى العوامل التي أدت إلى هذا الخروج وناقشنا الادعاءات المختلفة في هذا الصدد .

ثم خصصنا الباب الثالث لخريطة توزيع اللاجئين والنازحين الفلسطينيين في الدول المجاورة المضيفة وأعدادهم في معسكراتهم وتفاصيل الحياة في المعسكرات والبيانات اللازمة التي يحتاجها من يريد تقييم حياة هؤلاء البؤساء في مناطق لجوئهم .

وأفردنا باباً خاصاً هو الباب الرابع عن وكالة UNRWA التي أنشأتها الأمم المتحدة لرعاية الفلسطينيين وتشغيلهم ويغطي هذا الباب تطور الوكالة منذ نشأتها إلى الآن ومجال أعمالها وأعداد العاملين فيها وماضيها وحاضرها وما نتوقعه لمستقبلها .

أما الباب الخامس فخصص لمعالجة اللاجئين الفلسطينيين في الاتفاق المصري

الإسرائيلي (كامب ديفيد ١٩٧٨) والذي بدأت به الاتفاقات العربية – الإسرائيلية تناولاً لأوضاع اللاجئين .

وخصصنا الباب السادس لمؤتمر مدريد ١٩٩١ والظروف السياسية لانعقاده ، واللجان المتفرعة عنه وخصصنا حيزاً أكبر لمتابعة أعمال لجنة اللاجئين المتفرعة عن المؤتمر لأن هذه اللجنة في تقديرنا تعطي مؤشرات قوية عن المواقف الإسرائيلية تجاه مشكلة اللاجئين .

ثم عالجنا في الباب السابع ما ورد في اتفاق أوسلو ١٩٩٣ عن اللاجئين وأن موضوعهم قد غيب وأخر إلى أن يحين وضع الحل النهائي .

وخصصنا الباب الثامن للمعالجة الدولية لمشكلة اللاجئين وموقف المجتمع الدولي باختلاف مؤسساته الدولية تجاهها .

ولقد أوردنا بالتفصيل في الباب التاسع المشاريع والمقترحات والمبادرات والأفكار التي صدرت من المسئولين من مختلف الدول ، والفلسطينيين كمعالجات فردية بعيدة عن التنظيم الدولي .

وفي الباب العاشر تناولنا موضوع التعويضات المقدرة من مختلف المصادر للفلسطينيين نتيجة الاحتلال وممارساته ، وكذلك تناولنا موضوع الادعاءات الإسرائيلية في تعويض اليهود الذين هاجروا من البلاد العربية .

وقد سجلنا في خاتمة الكتاب الملاحظات التي عنت لنا من المعايشة لقضية اللاجئين طوال أكثر من أربعة سنوات في غزة والضفة الغربية والتعامل مع المشكلة كممثل مصر لدي وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين UNRWA خلال الفترة من(١٩٩٦–١٩٩٩)

وأتقدم بالشكر جزيلا وكثيراً لكل هؤلاء الذين تفضلوا بمساعدتي بتقديم المراجع أو البيانات أو الإحصاءات أو شرح لمواضيع الكتاب وهم كثير ، لكن ينبغي أن يوجه شكر خاص للصديق عقيل أبوشماله من UNRWA الذي قدم لي كثيراً من الشرح لزوايا الموضوع المختلفة ، وكذلك أتقدم بالشكر للسيد (A.TAKKENBERG) الذي أهداني كتابه القيم عن اللاجئين الفلسطينيين في القانون الدولي بصرف النظر عن آرائه الواردة فيه:

THE STATUS OF PALESTINIAN REFUGEES IN INTERNATIONAL LAw.

وبالطبع يجب أن أوجه شكرى الخاص للمفوض العام للـ UNRWA الدبلوماسي الدنماركي السيد (PETER HANSEN) الذي رأس هذه الوكالة لمدة ثمانية سنوات وكان مثالاً للعدالة وتفهم الموقف الفلسطيني والعربي والذي أسعدني استجابة جامعة الدول العربية لندائي فى الصحف المصرية بتكريمه والذي دفع ثمن نزاهته وعدالته وعدم رضوخه لإملاءات أو تهديدات إسرائيل . وهو الذي وقف أمام أطلال معسكر جنين عقب الاجتياح الإسرائيلي له وقال قولته المشهورة «أن هذا الجحيم ليس من أعمال البشر» ودفع ثمناً كبيراً من مستقبله السياسي جزاء نزاهته .